

## المحاضرة الخامسة : مقتضى الحال فى البلاغة العربية وفكرة المقام :

### تمهيد

#### • بلاغة الكلام :

ذكر البلاغيون فى تعريف بلاغة الكلام بقولهم: مطابقته لمقتضى الحال مع فصاحته. ويقصد بالحال: الأمر الذى يدفع المتكلم إلى أن يعتبر فى كلامه خصوصية ما.

**ومقتضى الحال:** تلك الخصوصية التى اعتبرت فى كلام المتكلم .

**أما مطابقة الكلام لمقتضى الحال:** فهى مجيء الكلام مشتملاً على تلك الخصوصية التى اقتضاها الحال، ومقتضى الحال مختلف، فإن مقامات الكلام متفاوتة، فمقام التنكير يباين مقام التعريف، ومقام الإطلاق يباين مقام التقييد، ومقام التقديم يباين مقام التأخير، ومقام الذكر يباين مقام الحذف، ومقام القصر يباين مقام الوصل، ومقام الإيجاز يباين مقام الإطناب والمساواة، ومقام خطاب الذكى يباين مقام خطاب الغبى، فالاعتبار المناسب هو: مقتضى الحال، فقولك: "إن إلهكم لوأحد" خطاب لمن ينكر هذا الأمر، فإنكار المخاطب لكون الإله واحداً يسمى حالاً، إذ إنك أتيت بشيء زائد على المعنى وهو التأكيد ليزيل إنكار المخاطب.

أما مقتضى الحال فى المثال فهو: صورة التأكيد:(إن واللام) وهى التى استدعاها

الحال، وأما مطابقة الكلام لمقتضى الحال فهو: مجيء الكلام على هذه الصورة.

وعلى هذا فكل حال لها مقتضى، فخلو ذهن المخاطب: حال يقتضى خلو الكلام من

التأكيد، وإنكار المخاطب: حال يقتضى التأكيد، وهكذا.

ويشترط فى بلاغة الكلام كما يقول البلاغيون: سلامته من العيوب المخلة بفصاحته،

وعلى هذا فكل كلام بليغ فصيح، وليس كل كلام فصيح بليغاً.

**بلاغة المتكلم :** يقول البلاغيون: إن بلاغة المتكلم: ملكة كائنة يقتدر بها على تأليف

كلام بليغ، وتكتسب هذه الملكة من كثرة القراءة والإطلاع والتأمل والإدراك، بالإضافة إلى

ذوق المتكلم وطبعه وذكائه، ليكون قادراً على التأليف والابتكار، وحينئذ يقال له: متكلم بليغ.

كما يتبع القزويني الطرح الذي يعتبر أن المقتضيات تتنوع بتنوع المقامات حيث يقول : " ومقتضى الحال مختلف ، فإن مقامات الكلام متفاوتة ، فمقام التذكير يباين مقام التعريف ، ومقام الإطلاق يباين مقام التقييد . " 1

كما نوهنا عنه في بداية المحاضرة أنها تتباين وتختلف الرؤى من عالم إلى آخر . أمام هذه الرؤى التي اقتصت بها أطروحات وتصورات بلاغية هذه المرحلة ( الجمود ) حول فكرة مقتضى الحال ، أنها هي الأساس المنيع الذي ينبنى عليه الكلام الجيد ذو الحسن والقبول هو القول الذي تتلاءم وتتطابق فيه الأحوال والظروف المناسبة .

#### ● الخاتمة : في آخر محاضرتنا نستطيع أن نستنتج النتيجتين التاليتين :

1- لقد أنتجت البلاغة العربية وهي في أوج ازدهارها مجموعة من الأفكار

والمقولات التي استطاعت إلى حد بعيد التحكم في العملية التواصلية ، وكان من

أهم تلك المقولات تلك التي أطرت شروط الكلام البليغ ، والتي كانت توصي بالبديهة

البلاغية المعروفة لكل مقام مقال .

2- إن هذه المقولة لكل مقام مقال أو لكل كلمة مع صاحبها مقام أو مطابقة مقتضى

الحال هي من جوامع الكلم التي وقعوا عليها، والتي تصدقوا على مقاربة ودراسة المعنى

لا في العربية الفصحى فحسب بل داخل كل اللغات باعتبار أن أي محاولة للوصول إلى

المعنى الدلالي الكائن وراء أي صياغة لغوية لا يتأتى إلا بمراعاة الظروف التي تحيط

بالعملية اللفظية .

#### ● الهوامش :

1- ابن سنان الخفاجي ، سر الفصاحة ، تحقيق الدكتور النبوي الواحد شعلان، دار قباء، القاهرة ، سنة 2003 .

2- ابن طباطبا العلوي، عيار الشعر، تحقيق محمود زغلول سلام ، منشأة المعارف ، مصر، (د.ت).